د. يحيى عثمان
مستشار أسري

التودد العاطفي بين الزوجين

لا يمكن إهمال القدرات النفسية في التعايش مع زوج يحرم زوجته من حقها في الارتواء العاطفي، وأن هذه القدرات تتفاوت من زوجة وأخرى، بل إن احتياجات الزوجة للاحتواء العاطفي قد تتباين من فترة لأخرى خلال حياتها الزوجية. فإن وجدت أنه لا يمكن لها الاستمرار مع العوز العاطفي، -وخافت على نفسها الانزلاق- بعد أن تحاول أن تشغل نفسها بأولادها، أو الاهتمام بالقراءة والاطلاع والتزود المعرفي، أو بدراسة أحد التخصصات العلمية أو الفنية أو الإنسانية، أو الاشتراك في إحدى الجمعيات الخيرية والنفع العام، أو دراسة وحفظ القرآن الكريم والتفقه في أحد تخصصات العلوم الشرعية أو.... فإن لم يملأ فراغها ذلك، فعليها الشروع في إجراءات الطلاق، وهذا حقها.

لماذا هذه المقدمة المباشرة التي تنفذ إلى قلب مشكلة من المشكلات الأسرية المتكررة في العقد الأخير؟ لأن هناك أزواجا يظلمون زوجاتهم ويضيعون الأمانة وللزوج منهم أقول: اتق الله فيما ائتمنك الله عليه، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» الحديث. إن شعور الزوجة بالأمان النفسي هو من أهم ما يسعد الزوجة، وهو لا يتحقق بكم العطاء المادي أو العلاقة الحميمية فقط ولكن الأمان النفسي هو إحساسها بأن زوجها يحتويها ويشبع مشاعرها عاطفيا بكل وسائل التعبير، بل ويفيض عليها من نبع دائم التجديد لعاطفة جياشة. إن العلاقة الحميمية بالنسبة للزوجة هي إشباع عاطفي قبل أن تكون تلبية للرغبة الجنسية، كما أنه يجب التأكيد على أنه مهما وفر الزوج من المتطلبات المادية للزوجة، دون الارتواء العاطفي فلا قيمة له. لذا قد تصبر الزوجة على عدم تلبية احتياجاتها المادية

والحميمية، سواء لبخله أو تقديرا منها لقدراته، إذا ما تمكن من إشباع احتياجاتها العاطفية. طبعا لا أقصد بالعاطفة فقط التعبير عن مشاعره من خلال كلمات الحب فقط، ولكن الارتواء العاطفي يتضمن التقدير والاحترام وأن يشعرها بقيمتها في حياته وأنها الأولى من عمله وتكوين ثروته، لأن ذلك وسيلة وليست غاية.

ولا وجه هنا للاستدلال بقول الفاروق عمر «وهل كل البيوت بنيت على الحب» لأسباب منها: التباين بين البيئة النفسية البدوية، والبيئة النفسية الآن وأثر ذلك على الاحتياج العاطفي. كما أن ما نعيشه الآن من الانفتاح والفتن التي تحيط بنا، تجعلنا نقع في فخ المقارنة، وإن لم يكن في العقل الواعي فعلى الأقل في العقل الباطن. ثم إن قول الفاروق عمر كان لرجل وليس لامرأة، وكذلك فإن القدرة على التحمل تختلف من إنسان لآخر، فيجب عدم التعميم ولا التقليل من أي معاناة يبديها أي إنسان.

من المهم بمكان أن يبذل الزوج الجهد المناسب لتوفير أسباب الحياة الطيبة لزوجه، ولكن ليس على حسابها، كما لا يحق له أن يتركها للعمل في مكان بعيدا عنها -حتى ولو كان في نفس البلد- إلا بإذن منها وطبقا للضوابط الشرعية، ولا يمكن التعليل ببناء مستقبل للأولاد. كم من المآسي تصلني من جراء الفهم الخاطئ واضطراب الأولويات واختلاط الوسيلة بالغاية، فتكون الثروة هي

كم من زوجة غابت وبررت ذلك بقصور زوجها في حقوقها

الغاية ويضيع أهله، وقد يقع ذلك للأسف حتى وهو -شكلا- مقيم معهم.

كم من زوجة غابت وبررت ذلك بقصور زوجها في حقوقها، وكم من الأولاد ضاعوا لغياب والدهم، وقد يكون مقيما ولكنه قد ضيع الأمانات التي كلفه الله بها. وقد حذرنا الله من اتباع خطوات الشيطان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ...﴾ (النور:٢١).

لقد اشتكت إحدى الزوجات إلى مكتب استشارات زوجية وهنا أنقل نص شكوها للتوضيح والدقة فقالت: أنا في ضياع نفسي، وكم تمنيت أن تتشق بي الأرض ولا أصل إلى ما وصلت إليه. أنا سيدة في منتصف الأربعينيات من عمري نشأت في أسرة متدينة أحفظ أكثر من نصف القرآن، تزوجت بعد تخرجي في الجامعة من مهندس يكبرني بسبع سنوات، طموح وكان يشغل منصب مهندس أول رغم صغر سنه. عشنا حياتنا الزوجية في قمة السعادة ورزقنا الله بثلاثة أولاد، هم الآن بالجامعة. بدأت مأساتي بعد خمس سنوات من زواجنا عندما أخبرني زوجي بأنه سيعمل على تأثيث شركته الخاصة بعد استقالته، وكم كانت فرحتي ودعوت الله بالتوفيق، وعرض علي أن نذهب في رحلة لمدة أسبوع قبل بدء إجراءات الشركة لأن ذلك قد يشغله، سافرنا في رحلة ممتعة. عدنا وبدأت الاحظ تأخره لأوقات متأخرة من الليل، ويعود مجهدا خائر القوى، وعندما أطلب منه الاهتمام بنفسه وصحته، يكون رده أنا في مرحلة التأسيس وكله من أجلكم، واستمر الحال على اهتمامه بعمله وإهمالنا، مما أدى إلى تدهور علاقتنا. نعم انتقلنا إلى فيلا فاخرة في مكان راق، أغير سيارتي كل عام، ألحقنا الأولاد بمداس لغات متميزة، كل ما يمكن أن تتخيله الزوجة لها وللأولاد متوافر وتحت أمري. ولكن علاقتنا فترت ثم تيبست فانقطعت!

ولعلك تتساءل! ماذا ينقصني؟ ينقصني أهم شيء تحتاجه الزوجة الحب، الاحتواء، الإشباع العاطفي، الكلمة الرقيقة، الاهتمام ومشاركة الحياة. لم يعد هناك شيء يجمعنا.. تحول زوجي إلى شيك على بياض أصرف منه كما أريد، قلما نتناول وجبة معا، أنا وأنا فقط المسؤولة عن متابعة الأولاد والمدرسين الخصوصيين والشيخ الذي يعلمهم القرآن، وذهابهم إلى النادي حتى حفلات تخرجهم.

انكفأت على ذاتي وشغلني الأولاد، ولكن قلت مسؤوليات الأولاد بدخولهم الجامعة وازدادت معاناتي وشعوري بالوحدة. وجدت في وسائل التواصل الاجتماعي ملهاتي،

بدأت الكارثة منذ حوالي ستة أشهر، من خلال منشور نشرته إحدى الصديقات، يتحدث المنشور عن قيمة وأهمية العلاقة العاطفية بين الزوجين، ورغم تناوله الاحتياج والإشباع التبادلي بينهما إلا أن حرص الزوجة على الإشباع العاطفي التبادلي في العلاقات الزوجية أكثر من الزوج، بل إن الإشباع العاطفي للمرأة سواء أكانت أما أو ابنة أو أختا أو زوجة أهم من الإشباع المادي. كم كانت الكلمات تعبر عني، كم كانت هذه المعاني تخالجني وأكتمها خجلا، أعدت قراءة المنشور عدة مرات، وتلقائيا وضعت علامة إعجاب، ولم أهتم بمن الكاتب. بعد يومين وجدت منشورا آخر لنفس الحساب ووجدتني مشدودة لقراءته، وكان موضوعه عن أثر العاطفة بين الزوجين على وئام العلاقة الزوجية، وأبديت إعجابي أيضا به، وظللت طوال الليل استعيد المعاني الجميلة التي تناولها، وظللت أتابع ما ينشره الحساب، بل أنتظر ما ينشره بلهفة وكأنني أنا التي أكتب وأبدي إعجابي بما ينشر.

بعد عدة مقالات وإعجابات مني فوجئت برسالة على الخاص من صاحب الحساب نصها: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شكرا لمتابعتكم وإعجابكم) ثم تطور الأمر بتبادل الرسائل مع صاحب الحساب وأخشى من ذلك).

انتهى حديث السيدة الفاضلة، وأعلق عليها بالقول: إنه من المؤكد

جاء الوعيد الشديد في حق من يفسد الزوجة على زوجها ويخببها عليه

أنه في أي علاقة خطأ أحد الأطراف لا يمكن أن يكون مبررا أو مسوغا لخطأ الطرف الآخر، فقصور الزوج في أي من واجباته ليس مبررا للزوجة أن تتجاوب -وهي زوجة- مع رجل غريب فعليها الإصلاح والصبر أو طلب الطلاق، ثم بعد استيفاء عدتها لها كل الحرية أن تبحث عن زوج آخر وهذا حقها.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من يفسد الزوجة على زوجها ويخببها عليه، فقد جاء في الحديث: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها»؛ ومعناه: أفسد أخلاقها عليه وتسبب في نشوزها عنه، وقد لا يكون ذلك بصريح العبارة ولكن أن يستعرض قدراته على العطاء، واستثارة عوزها، بما يوقعها في فخ المقارنة، مما يعظم آلامها، ثم يزداد إثما بأن يلمح أو يصرح بالزواج منها إن طلقت... جاء في الموسوعة الفقهية: «فمن أفسد زوجة امرئ، أي: أغراها بطلب الطلاق، أو التسبب فيه، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر». كانت أختنا الحائرة منكفئة على ذاتها ساكنة على أمل أن ينصلح حال زوجها، إلى أن أثار عوزها العاطفي أحدهم، وهذا بسبب عدم الالتزام الشرعي بآداب الشرع الحنيف.

والحل المقترح في رأيي أنه يجب على أختنا الحائرة الاستغفار والتوبة، والتوقف عن أي حديث مع هذا الغريب.

يجب الفصل الكامل بين مشكلتها مع زوجها الظالم، وقرار الطلاق منه وقبول عرض الزواج بغيره. فمن حقها طلب الطلاق للضرر، وعليها أن تثبت للقاضي ذلك، فإن اقتنع طلقها ولها كل حقوقها، كما أنه من حقها أن تخلعه وترد له المهر وتسقط حقوقها المالية لديه. ولكن قبل ذلك، هل بذلت كل الجهد لإصلاحه، وبينت الآثار السلبية لظلمه لها ولأولادهما، واستعانت بالله وحكمت من تثق في حكمتهم من أهله وأهلها؟ فإن فعلت ولم يتعظ، فعليها المقارنة بين إيجابيات وسلبيات الاستمرار والانفصال -دون عقد مقارنة بين زوجها والذي طلبها للزواج وهي ما زالت زوجة- وطبعا أثر كلا القرارين على الأولاد. والذي أؤكد عليه هو إلغاء أي أثر لعرض الزواج الذي تلقته على قرار الاستمرار أو الانفصال، ولكن التركيز فقط.. على الإجابة عن التساؤل الأهم والأخطر وهو: هل يمكنني أن أستمر دون الوقوع في أي شبهات ودون مضاعفات سلبية علي، ودون الربط بين قرار الطلاق من شحيح العاطفة، وقرار الزواج بآخر؟!

قوة أخرى لا نستطيع أن نفصلها عن حياتنا؟

إن مرحلة (الاستشعار الروحي) (المحسوس) والبعد عن التفكير المادي (الملموس) لا يصل إليه الإنسان إلا إذا ارتقى بفكره شيئا فشيئا حتى يصل لهذه المرحلة.. التي تجعلك توقن بأنك لست وحدك.. وإنما كان الله دائما معك وأنت تسمي هذه القوة باسمها الديني.. «الله»، وتسند إليها العناية والخلق والوحي.

هل بدأت تستشعر من أنت؟

أنت من منحت الحركة والحياة.. أنت من أمدك الله بروح منه.. أنت من أضفى عليك الله بعضا من صفاته.. فأنت سميع.. والله هو السميع.. أنت مبصر.. والله هو البصير.. أنت تستمتع بالحياة والله هو الحي.. إذن فصفات الله العظمى وغير المحدودة هي صفات ثابتة لله ومتغيرة عند الإنسان.

أنت من أرسل الله لك رسله منذرين ومبشرين.. فبهم تتعرف على الطريق الصحيح فلا تضل ولا تشقى.

أنت خليفة الله في أرضه.. أنت من سخرت الدنيا كلها لخدمتك.. أنت من يصلي عليه الله وملائكته، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:٤٣).

أنا خليفة لله في أرضه!

هل كل إنسان منا يستحق هذا الشرف؟ وهل من سبيل إليه؟

يرى علماء النفس أنه كي تنسجم مع البشر والكون من حولك.. فعليك أن تحب ذاتك أولا.. لكن كيف أحب ذاتي وأنا لا أفهما جيدا.. من أنا؟

يقول الأستاذ الدكتور راتب النابلسي عن حقيقة الإنسان: إنه في الأصل (نفس وروح وجسد)، نفسه ذاته هي المكلفة في المعاتبة، هي التي ترقى، هي التي تسمو، هي التي تسقط، هي التي تكفر، هي التي تعتدي، هي التي تحسن، نفسك هي ذاتك. والنفس لا تموت، لكنها تذوق الموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران:١٥٨).

.. وهذا الجسم وعاء الإنسان، تماما كالمركبة، سائقها هو كل شيء، صاحب المركبة إما أن يسرع، أو يخفض السرعة.. فإن رأيتها أنيقة ونظيفة فسبب نظافتها صاحبها.. وإن رأيتها رعناء في قيادتها فمن رعونة قائدها، فهي تعبر عن صاحبها، بينما تعد الروح فهي القوة المحركة للإنسان، فإذا انتهى أجل الإنسان، توقف الإمداد الروحي، فتعطل الجسد فتخلعه النفس، فتصعد النفس إلى باريها.

لكن ما الروح؟

وما علاقة نفس كل منا بروحه؟

تذكر الروح في القرآن دائما بدرجة عالية من التقديس والتنزيه والتشريف، والروح دائما تنسب إلى الله.. ولا تنسب إلى الإنسان.. وهي دائما في حركة من الله وإلى الله ولا تجري عليها الأحوال الإنسانية ولا الصفات البشرية.. ولا يمكن أن تكون محلا لشهوة أو هوى أو شوق أو عذاب.

فالروح لا توسوس، ولا تشتهي ولا تهوى، ولا تمل ولا تتعذب، والروح لا تدرك ولكن تدرك آثارها في الجسد، والجسد مادة من هذه الأرض؛ لذلك عند الموت تعود الروح لمصدرها ويعود الجسد لمصدره يعود إلى الأرض..

ولا تعاني (الروح) هبوطا ولا انتكاسا. إنما تلك كلها من أحوال النفس وليس الروح، بينما النفس قابلة للخير والشر، وطبيعتها أنها ترتفع وتنخفض، وتعلو وتهبط، وتسمو وتتدنى، وعلى صاحبها أن يختار لها وأن يهتم بتربيتها وتأديبها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان.

قبل أن ترتدي الروح ثوب الجسد!

هل تعلم أن نفسك موجودة قبل ميلادك، وأن عمر الإنسان يمتد إلى ما قبل مرحلة التخليق في رحم الأم؟!

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢).

إذن فوجود الإنسان هو امتداد لوجوده السابق في عالم الأرواح.. قبل أن ترتدي الروح ثوب هذا الجسد المادي المحسوس.. فليس لأحد عذر.. فقد كان لكل نفس مشهد مستقل طالعت فيه الربوبية.. وبهذا استقرت حقيقة الربوبية في فطرتنا جميعا.. هل تشعر الآن أنك قد بدأت تتعرف على نفسك؟ لماذا خلقت في هذه الدنيا؟

إن وجود الإنسان في هذه الدنيا مرتبط برسالة مهمة يتحمل وحده مسؤولية أدائها، حتى تتحقق خلافة الإنسان في الأرض.

يقول الإمام الرازي: إن الله جعل آدم خليفة له.. ومعلوم أن أعلى الناس منصبا عند الملك من كان قائما مقامه في الولاية والتصرف وكان خليفة له.. فبلغ آدم في منصب الخلافة أعلى الدرجات، فالدنيا خلقت متعة لبقائه، والآخرة مملكة لجزائه، وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه، والجن رعيته، والملائكة في طاعته وسجوده والتواضع له، ثم صار بعضهم حافظين له ولذريته، وبعضهم منزلين لرزقه، وبعضهم مستغفرين له.

يا لها من منزلة عظيمة وشرف كبير من رب عظيم.. لكن هل يستوعب كل إنسان معنى الخلافة في الأرض؟